

الثقافة الشعبية ودورها في صناعة الضمير الجمعي لمجتمع توات تجاه تعاطي المخدرات. دراسة ميدانية بمنطقة توات الوسطي ولاية أدرار - قصر أطوى أنموذجا -

The Role of the Popular Culture in Shaping the Collective Consciousness of the Touat Society Towards Drug Use

عثمان الصادق¹، حمزة بن عبد الرحمان²

1 جامعة أحمد دراية بأدرار، (الجزائر)، oth-saddek@univ-adrar.edu.dz

2 جامعة الجزائر 2، (الجزائر)، hamzaadradar84@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/13 تاريخ القبول: 2021/11/15 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص:

في هاته الورقة البحثية نريد تسليط الضوء على الثقافة الشعبية للمجتمع التواتي، ودورها في صناعة الضمير الجمعي لهذا المجتمع تجاه تعاطي المخدرات ايجابا أو سلبا، وتحليل الدلالات المعرفية التي كان يتلقاها الأفراد داخل هذا المجتمع عبر حقبة زمنية مختلفة (ماض، وحاضرا، ومستقبلا)، وكيف تطورت الأهداف والغايات للحد منها عبر نفس الثقافة الشعبية السائدة وسبل الوقاية والمعالجة. كما اعتمدت هذه الدراسة اداتي المقابلة والملاحظة لتوثيق شهادات الحقب الزمنية المختلفة وتحليلها وفق ما كانت تحمله الثقافات الشعبية لهذا المجتمع. الكلمات المفتاحية: الثقافة؛ الضمير؛ المخدرات.

Abstract:

In this research paper, we want to shed light on the popular culture of the Touat community, and its role in making the collective conscience of this community towards drug use, positive or negative, and analyzing the cognitive connotations that individuals received within this community over different periods of time (past, present, and future), and how The goals and objectives to curb them have evolved.

This study also adopted the interview and observation tools to document the testimonies of different time periods and analyze them according to what was carried by the popular cultures of this society.

Key words: culture; pronoun; drugs.

مقدمة:

إن العارف لمنطقة توات ليعلم أنها من بين أغنى المناطق في الجزائر بالتراث الشعبي مادي وشفوي وما تحتوي الثقافة الشعبية من تقاليد وعادات وامثال وحكم يتعارف عليها افراد مجتمع ما، حيث تعتبر موجّهات ومحددات لسلوك الافراد نحو قضايا معينة. فكان لهذا الثراء دورا كبيرا في صناعة ضمير جمعي ساعد في انتشار تعاطي التدخين والولوح لعالم المخدرات عامة في فترة من الفترات، خاصة في الاوساط التي تعاني التهميش والحرمان والفقر والبطالة والفراغ القتال، بالإضافة الى ان معظم شباب المنطقة كان يهتم بالزراعة المعاشية المروية التي تلبّي حاجيات السكان بالدرجة الأولى.

وامام هاته الوضعية كثرت زراعة حشيشة الكيف او القنب الهندي خاصة في البساتين البعيدة عن اعين الرقابة الحكومية والامن بشكل عادي وحتى انه لا يثير الانتباه، خاصة فترة ما قبل منتصف الثمانينات. حين كان استهلاك هذه المادة في المناسبات يعد شيء عادي مدعوما بثقافة شعبية تمجد الاقبال عليه من طرف العامة، وبعد هاته الفترة عزمت الدولة على تغيير سياستها تجاه هذا الامر والقيام بحملات تفتيش في البساتين والدور البعيدة، وسجن العديد من المتعاطين والمزارعين لهاته المادة امام استياء كبير لساكنة المنطقة المصدومين من تغير سياسة الدولة تجاههم، لتعلن عن ميلاد فترة جديدة، على الساكنة التأقلم معها والتكيف وفق ما تمليه عليهم الوضعية الامنية الجديدة. بحيث كانت كلمة الفصل للدولة التي ضريت بقوة القانون تجاه المخالفين وسجنت العديد من المزارعين وطاردت اخرين حتى اوفتهم اما المحاكم، في تحدي صارخ لما كان يعتقد العامة شيء عادي، وتواصلت الحملات مما اجبر الساكنة في التفكير في السير مع مخططات الدولة جنبا الى جنب للتقليل والقضاء نهائيا على المخدرات واستغلال الثقافة الشعبية للمساهمة في ذلك. حيث لوحظ تغيير كبير على مستوى الضمير الجمعي الناطق باسم هذه الثقافة بأفهام الساكنة بأن هذه المادة ممنوعة ويعاقب عليها القانون وانعكس ذلك في

احتفالات ساكنة المنطقة حيث أصبحت حلقات البارود وجلست الطبل تمجد عمل اصحاب الامن وغابت مظاهر تعاطي حشيشة الكيف عنها بعدما كانت وكراً لها.

ومن هنا يمكن ان نطرح التساؤل التالي؟

كيف استطاعت الثقافة الشعبية للمجتمع التواتي عن طريق لسانها الناطق - الضمير الجمعي - من الحد من تعاطي حشيشة الكيف بعدما كانت مشجعة له في فترة من الفترات؟

وعليه تم افتراض الفرض التالي:

- لعبت الثقافة الشعبية دوراً هاماً في التشجيع أو الحد من تعاطي حشيشة الكيف في الوسط التواتي زمن الثمانينات من القرن الماضي الى يومنا هذا عن طريق الضمير الجمعي للمجتمع. حيث كان البحث يهدف الى امكانية توظيف الثقافة الشعبية لمجتمع ما عن طريق الضمير الجمعي للقضاء على الآفات الاجتماعية فيه والمساعدة في البناء لا الهدم. وتم تقسيم هاته الدراسة الى:

✓ جانب منهجي يتعلق ب: فرضية الدراسة + تحديد المفاهيم + مجتمع الدراسة

✓ جانب نظري يتعلق ب: نبذة تاريخية للحياة الاجتماعية والثقافية لتوات

✓ جانب ميداني قسم الى مرحلتين - مرحلة ما قبل منتصف الثمانينات ومرحلة ما

بعدها تضمن تحليل المعطيات الميدانية واستخراج النتائج

✓ خاتمة + توصيات

1. تحديد المفاهيم:

1.1. الثقافة الشعبية:

أو الفلكلور أو الموروث الثقافي شكل من الأشكال التعبيرية المنطوقة والتي تحتفظ بالذاكرة الشعبية، وهي جزء من الثقافة الإنسانية ككل، يتم حفظها بشكل شعوري أو غير شعوري لتتجسد في كلاً من المعتقدات والعادات والممارسات الحياتية. (الثقافة

الشعبية". <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، 2019)

وتشمل هذه الثقافة: الموروث السردى (الحكايات، والخرافات...)، والحكم والأمثال الشعبية وغيرها من فنون التعبير الأخرى. وتكمن أهمية الثقافة الشعبية في أنها تؤدي دوراً في إبراز تراث

الأمم وتعزيز خصوصيتها، كما أنها مجموع العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي بلد أو منطقة جغرافية محدودة، والتي تنتشر باستخدام طرق إعلام شعبية، وتنتج هذه الثقافة من التفاعلات اليومية بين عناصر المجتمع إضافة لحاجاته ورغباته التي تشكل الحياة اليومية للقطاع الغالب من المجتمع، وهي مفصولة عن السلطتين السياسية والدينية، وغالبًا ما يُستخدم مصطلح الثقافة شعبية كمصطلح مضاد ومخالف للثقافة العليا أو النخبوية. (حلواني، 2018)

ويقصد في هاته الدراسة بالثقافة الشعبية للمجتمع التواتي: تلك الامثال والحكم والمعتقدات التي تعمل على تحديد وتوجيه السلوك او تغييره بشكل عام حول مواضيع محددة، ويظهر ذلك في فنون التعبير للسكان في الرقصات الفلكلورية وحلقات الطبل والمناسبة الاحتفالية عموما باختلاف اصنافها ومن ثم اتخاذ موافق فعلية في صور الممارسة الميدانية للسكانة تنسجم مع معتقداتهم.

2.1. الضمير الجمعي:

يتم مشاركة محتويات وعي الفرد إلى حد كبير مع جميع الأعضاء الآخرين في مجتمعهم، مما يخلق تضامناً ميكانيكياً من خلال التشابه المتبادل. كما يشير الى مجموع المعتقدات والمشاعر المشتركة بين أفراد المجتمع العاديين يشكل نظاماً محدداً له حياة خاصة به. يمكن أن يطلق عليه الوعي الجماعي أو المشترك. (لبصير، 2010، صفحة 293)

أما في هذه الدراسة يقصد به مجموعة من المعتقدات والعواطف المشتركة لدى متوسط أعضاء المجتمع الواحد والتي تشكل نظاماً اجتماعياً محدداً له حياته الخاصة به، كما يعتمد الضمير الجمعي في وجوده على الأحاسيس والعواطف والمعتقدات الموجودة في الضمير الفردي. وبالتالي أوضح أن هناك ارتباطاً ذا تأثير متبادل بين الضمير الجمعي والأفكار الاجتماعية في الواقع الاجتماعي نتيجة الضغوط التي يمارسها الضمير الجمعي على أعضائه.

3.1. المجتمع التواتي (المجال البشري للدراسة):

توات هي إقليم يقع في المنطقة الغربية للصحراء الجزائرية، جنوب غرب العرق الغربي الكبير بالتحديد في ولاية أدرار، ويسكن توات أعراق مختلفة من عرب وأمازيغ وحراطين ومن أصول

أفريقية كما سكن بالمنطقة طائفة يهودية خلال التاريخ القديم والعصور الوسطى خصوصاً بتمنيط.

يقع إقليم توات في قلب ولاية أدرار ويحدها :

- من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير وإقليم قورارة وهضبة تدمایت.
- من الشرق هضبة تيديكلت.
- من الغرب والجنوب عرق شاش.

توات موزعة على طول وادي مسعود والطريق الوطني رقم 6، بتوجه شمال-غرب جنوب-شرق وأهم تجمعاته السكانية أدرار وتامنطيت وزاوية كنتة ورقان وسالي. (Daneap. 123) ويقصد في هاته الدراسة بالمجتمع التواتي دراسة عينة من أفراد توات الوسطى (دائرة زاوية كنتة- بلدة أظوى بالتحديد-) والتي كانت مصرحا للحمالات التي شنها الأمن الجزائري منتصف الثمانينات والتي كانت أكثرها استهدافا في هاته الفترة.

4.1 حشيشة الكيف (القنب الهندي):

ينتج الحشيش من شجيرات القنب الهندي وهو عبارة عن مادة صمغية يتم تخفيفها فينتج عنها هذا المخدر الأوسع انتشارا في العالم. (مستشفى الامل، 2020) كما يعتبر الحشيش من أكثر المخدرات انتشارا وتعاطي بسبب سهولة تعاطيه وكثرة توافره فهو لا يحتاج إلى معدات خاصة لتناوله كما أنه يعتبر رخيص الثمن مقارنة بأنواع أخرى من المخدرات. في حين يعتبر الحشيش مؤثر قوي في الجهاز العصبي المركزي لأنه يصل من الرئة إلى الجهاز العصبي بشكل سريع للغاية ويؤدي تناوله بكميات كبيرة إلى عمل حالة من الهلوسة والكثير من الأضرار الأخرى. (مستشفى الامل، 2020)

2. الجانب النظري:

نبذة تاريخية للحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع التواتي:
على الرغم من كون منطقة الجنوب الغربي الجزائري محورا هاما لمرور القوافلات التجارية في القرون السابقة بين بلاد السودان (غرب إفريقيا) وبلاد المغرب، إلا أن التجمعات العمرانية ظلت مجرد مراكز عبور، لم ترق إلى مستوى مدن موانئ الصحراء مثل سجلماسة. والدليل على ذلك أن

الشبكة العمرانية موجهة في اتجاه المحاور التجارية (شمال، جنوب). لكن، يسجل التاريخ بروز مدينتين كان لهما الشأن في هيكلية المجال في القسم الغربي للصحراء الجزائرية وهما: تمنطيط في التوات وتميمون في القورارة. (يوسقي، 2011، صفحة 28)

هذا بالإضافة إلى مدن تقل أهمية كعين صالح في التيدكلت والقنادسة في الساورة. إن الأولى، فقد تراجع دورها منذ اندلاع فتنه اليهود في القرن الخامس عشر، إذ برزت مراكز أخرى للقوافل والتبادلات في التوات كبودة. أما الثانية فقد واصلت نشاطها التجاري مع القوافل التجارية لغاية مطلع القرن السابق، هذا على الرغم من تراجع حجم تلك التبادلات واقتصادها على تجارة الرقيق وبعض المنتجات الفلاحية للواحات المجاورة، حيث كانت تميمون مركزا للتسويق نحو بلاد السودان ومركزا للتبادلات مع البدو الرحل وخاصة أولاد سيدي الشيخ والشعابنة (يوسقي، 2011، صفحة 29).

وأُسست الحقبة الاستعمارية لتطور الشبكة الحضرية الحالية بتشكيل الأنوية العمرانية الأولى على خلفية إقامة شبكة من الأبراج والثكنات العسكرية في أهم الواحات التي تطورت إلى مراكز للقيادة العسكرية لأقاليم الجنوب (1902) هذا من جهة. ومن جهة أخرى، شهدت أهم هذه المراكز عمليات لاستقرار البدو الرحل وخاصة ذوي منيع بناوحي الساورة، الرقيبات بتندوف، بعض فرق من قبائل الشعابنة في القورارة والتوات والزوى (أولاد الشيخ) في القورارة والتيدكلت. كما عرفت القطاعات غير الفلاحية تطور بعض النشاطات في القطاع الثاني الخاص بالمناجم مثل الفحم بيشار وبداية عمليات التنقيب على البترول منذ سنة 1994 إذ سمح اكتشاف النفط في الجنوب الشرقي لعدد كبير من سكان الواحات بالالتحاق بحقول تلك المناطق. (Jones, 2003) ولم يغيّر تطور ورشات الشغل فحسب المعطيات الاقتصادية المحلية بل أثر على الروابط الاجتماعية بين مختلف مركبات المجتمع المحلي، على أثر الاستقلال المالي للفتة الشغيلة في قطاع الفلاحة سابقا (الحراثين) واندفاعها نحو هذه القطاعات، وهي مرحلة رئيسية في بداية تحررها من الممارسات السلطوية للنبلاء (Blin, 1990, p. 502).

تم استقدام أولى مجموعات الشعابنة ضمن الوحدات العسكرية الصحراوية الفرنسية و اتخذ قصر أدرار، أحد أهم قصور واحة تيمي بالتوات، مقرا لممارسة السلطة العسكرية الاستعمارية، وهذا

بإقامة ثكنة بمحاذاة القصر وتأسيس النواة الأولى لقرية حسب مفاهيم التعمير الأوروبي، أي وفق مخطط شطرنجي فيما بين 1925 و1960. ويتكون المركز الجديد من التجزئة السكنية ومجموعة من المرافق مثل المجموعة المدرسية للبنات، سوق الفندق (الدينار فيما بعد)، نزل جميلة (في موضع نزل التوات حاليا)، المستشفى بين سنوات 1940 و1949. سمح ذلك بظهور حي تجاري (الحطابة) يسكنه أغلبية من الشعابنة (يوسقي، 2011، صفحة 464) وبعض أهالي المزاب. وامتنع هؤلاء التجارة نظرا لعلاقتهم الممتدة من غرداية، الجلفة، إلى البيض (أولاد سيدي الشيخ). دعمت أدرار بمطار عسكري ينظم رحلات مدنية وطريق غير معبد إلى بشار. وهكذا مر المركز الجديد بأدرار من 500 ساكن في سنة 1908، إلى 2.500 ساكن سنة 1958 بـ

100 أوروبي. (Boesen & Marfaing, 2007, p. 479)

وظلت أدرار في الفترة الاستعمارية، مقر لصف دائرة لم تحظ سوى ببعض التجهيزات ذات المستوى الأولي حيث خضعت لنفوذ وإشعاع مدينة بشار (450 كلم شمالا) التي كانت تركز الوظائف الإدارية لكونها مقر الإقليم الإداري للساورة (الجنوب الغربي) وقدر عدد سكانها سنة 1958 بـ 24.000 ساكن. كما احتكرت بشار تجارة الجملة حيث كانت نقطة التوزيع نحو المناطق الجنوبية الغربية مدعمة بشبكة مواصلات متطورة (سكة الحديدية وهران-بشار، طريق معبد بين وهران وبشار ابتداء من سنة 1958 ورحلات جوية وطنية ودولية (مرسيليا، باريس:

عبر وهران). (Boesen & Marfaing, 2007, p. 482)

وحظيت بشار بهذه المكانة لأنها كانت مدينة للأوروبيين قبل أن تكون مدينة الأهالي. فتجاوز معدل التحضر سنة 1954 في الساورة 57 % بشار 24.000 والقنادة بـ 7500 ساكن، في حين لم يبلغ في التوات سوى 6%، في القورارة قدر بـ 10 % (3.000 ساكن في تميمون)، وفي التيدكلت بلغ 24 % (4700 ساكن في عين صالح). اتسمت الشبكة الحضرية بعد الاستقلال، في المناطق الجنوبية الغربية للجزائر بعدم الاتزان، على الرغم من تطور عدد من التجمعات العمرانية إلى مدن حقيقية في العشريات الأخيرة، لا سيما في إقليم التوات، القورارة والتيدكلت. واصلت بشار سيطرتها على المجال الجنوبي الغربي لكونها المدينة الوحيدة بأكثر من 40.000 ساكن سنة 1966، ولم يتجاوز حجم المدن الأخرى 5.000 ساكن بأدرار و تميمون.

أما على المستوى الصحراوي، فاحتلت بشار المكانة الثالثة، في حين احتلت أدرار المكانة 29 ضمن تصنيف شمل 64 تجمعاً حضرياً صحراوياً. (Brachet, 2009).

3 - الطريقة والأدوات

واعتمدنا المنهج الوصفي في الدراسة والتحليل واستخراج الارتباطات السببية بين ما فعلته الثقافة الشعبية عبر الضمير الجمعي لسكان المنطقة وتغييرها للبوصلية من الجانب السلبي الى الجانب الايجابي في الحد والقضاء على تعاطي هذا المخدر، وذلك بإجراء مقابلات مع (25 فراد منهم 20 رجلا+ 05 نساء) من أفراد هذا المجتمع بشكل عشوائي ممن عاصروا الفترتين بل وكانوا أحد المتعاطين لهاته الحشيشة من الرجال وكيف كانت طريقة تفكيرهم حتى استطاعوا التخلص منها نهائيا، وملاحظتهم شخصيا كيف تحسنت حالتهم الفيزيولوجية والنفسية عبر المراحل الخاضعة للدراسة.

4 - النتائج ومناقشتها

بعد اجراء المقابلات مع من عاصروا الحقتين تبين أن هاته الدراسة ستعتمد التحليل على فترتين زمنية كانت الفاصل فيها دخول الدول بثقلها للحد والقضاء على تعاطي المخدرات عموما وخاصة حشيشة الكيف محل الدراسة بالمنطقة ولذا سنقسم هاته الدراسة الى مرحلتين رئيسيتين: اولها - مرحلة ما قبل منتصف الثمانينات. وثانيها- مرحلة ما بعد منتصف الثمانينات.

1.4. مرحلة ما قبل منتصف الثمانينات

تعد هذه المرحلة مرحلة الذروة في تعاطي حشيشة الكيف بالمنطقة حيث كانت المنطقة تعاني من تمهيش وحرمان كبير في التنمية وكان أغلب السكان يمتهن مهنة المزارعة بالفلاحة التقليدية المتعبة والمكلفة كثيرا فكان شباب المنطقة لا يجدون متنفسا غير البساتين التي يقضي بها معظمهم اوقاته بها وكان تعاطي الحشيشة في الاولى هروب من اتعاب الواقع الاجتماعية والنفسية كما صرح به العديد من الشباب آنذاك على غرار شهادة (ف. م) - ما عندنا ما نديرو لازم نمشو للكيف باش نحو الدمار الي كنا فيه-

بالإضافة الى أن التدخين كان أحد المعايير الرئيسية التي يعلن بها الشباب أنهم وصلوا لمرحلة النضج وتحمل المسؤولية او ما يعرف بلغة الثقافة الشعبية - الفقرشة - ومن لم تعاطي التدخين آنذاك وقد اشتد عوده يلقي اللوم من أقرانه فكان يقال له - افقراش وما يجغم -، بل وكانت العامة تعلن في امثلتها الساخرة قولهم - الي ما يجغم وما يشم حالو يحشم -، وحسب شهادة المدعو (ص. ع) أن أحد الآباء كان يبحث على من يجعل له جعلا على يعلم أحد ابناءه التدخين والشمة بقوله - اشكون نعطيه كراه ويعلم ليا ولدي القروح - وكأنه مستاءً كثيراً لابتعاد ابنه عن رفقاء التدخين، وطبعاً كان التدخين مقدمة لتناول الحشيش الذي كان له الصيت الأكبر في المناسبات والاحتفالات خاصة في موائد وحلقات الطبل التي كانت تعرف وتتميز بروتكولات فيما يتعلق بجلسة الوسط المتكونة بالمطربين (الغنايين) ومن الشدادين (وهم الأكثر حفظا للغناء بعد الغنايين) وتتخلل كل أغنية أو مرجوعة موجة من التدخين الكثيف يرتاح فيه المغنيين أو على حد قولهم - يقبضو راسهم - كما ان أدوات التعاطي في حلقة الطبل تختلف كثيرا عنها في الاوقات العادية في تناول حشيشة الكيف، حيث تتميز بطول انبوبة التعاطي - السبسي - ليتسنى للمدخن بقذف من يبقى فيها خارج الصفوف المتراصة في مشهد يهلهل له القاصي والداني بنوع من التباهي وهذا ما عبر عن المدعو (ص.ع) عندما كنت صغيرا كان يعجبني فلان الفلاي الذي كان يقذف أكثر من غيره طفية السبسي ونتزاحم للعثور عليها في مشهد دراماتيكي يحفز الصغار ليحدو حدو قدوتهم مستقبلاً، بالإضافة الى ما يعرف ب: - قارو الطبل - الذي يعتبر الطامة الكبرى لنسبة 100% من الشباب بتلك الفترة لإدخالهم عالم التدخين، فكان يوزع بالتساوي على جميع الحاضرين بمختلف الأعمار والمستويات ويجذب وضعة فوق الاذن فيل تناوله كنوع من التباهي - الشيكسي - إيذانا بالفقرشة وكان يحرص عليه أشد الحرص ويراقب ذلك حتى من النساء اذا كان أبنها تناوله ام لا. ويقال أن - قارو الطبل ما يقبضك الدخان وما يدير حتى شي - وهو ما تطابق مع شهادات كل المبحوثين في انسجام هذا المفهوم مع معتقداتهم مما زاد حرصهم عليه كما تؤكد شهادة (ك. م) في قوله - أنا ما قبضني الدخان الا من قارو الطبل كنت نتكيف أكثر من ثلاثة ونعس عليه -

من خلال ما جاء في هذه الاقارارات والشهادات الحية من شباب كانوا صغارا آنذاك وكبروا في ظل تلك الثقافة الشعبية الممجدة لتناول الحشيش بشكل عادي ومتميز احيانا، حيث لا تصور ابداً ان تناول حشيشة الكيف كان ينظر اليها انها من المحرمات ولا من الممنوعات، لان من أئمة المساجد في بعض الاحيان كان يتناولها بغض النظر عن حكمها الشرعي، وهذا ما استشهد به الكثير من المبحوثين في سؤالنا - هل كانوا يعلمون أنها محرمة شرعا. أما على مستوى عامة الناس فكان تناولها يعد فسحة وراحة نفسية لما يتخللها من جلسات للشاي ونكهة التحضير لها قبل تناولها، كما أن اغلب البساتين كانت بها هاته الحشيشة بشكل لافت، غير أن المتاجرة بها لم يكن هناك مما يعزز فرضية زراعتها للتناول والاستعمال لا للمتاجرة، كما ستؤكدده الاحكام الصادرة عن المحاكم في حق الموقوفين فيما بعد مع حلول المرحلة الثانية، وعليه فأنا كنا نشهد في هاته المرحلة تشجيع كبير للثقافة الشعبية على التعاطي والترويج له من خلال ما كان يتمتع به المتناول للحشيش من احترام وتقدير وكأنه مصدر الحكمة والرزانة والتدبير في اوساط هذا المجتمع، دون النظر الى ما تخلفه من تشريد للأبناء والتنازل والاستقالة من الالتزامات الاسرية التي القت بأعبائها كاملة على الأم التي عانت الويلات في هاته المرحلة، من جراء خذلان ازواجهن لمن وتحملهن المسؤولية الكاملة في التربية والوقوف على شؤون الاسرة مما صعب عليهن العيش مع اولادهم في الحالات المزية التي كان يعيشها المجتمع التواني في هاته الفترة، لأن الفتور التي يصيب الازواج من جراء الإدمان والتعاطي يجعلهم غير قادرين على الكسب مما يصعب من مأمورية النساء اللواتي عانين الكثير.

2.4. مرحلة ما بعد منتصف الثمانينات (بداية مدهامات رجال الأمن):

بدأت هاته المرحلة بالحملة الشرسة التي شنّها رجال الدرك الوطني على المنطقة التواتية ككل ونزلهم الى البساتين القريبة والبعيدة من القصور، في اوقات مبكرة من اليوم حتى باغتت الفلاحين لتذهب مباشرة الى المزارع والحقول وتعتقل العديد من الفلاحين الذين بغتوا بوجود الامن في مزارعهم وقد علموا أن الامر انكشف ومنهم من فر الى البلدان المجاورة وكانت الصدمة كبيرة على سكان المنطقة، ففي قرية أظوى (محل الدراسة) فقط سجن اكثر من 11 مزارع وطورد آخرين وتمت الملاحقات الى أن وفقوا جميعا امام المحاكم، وصدرت بحقهم احكام

متفاوتة تتعلق بالاستهلاك لا المتاجرة، وفعلا كانت هاته القشة التي قسمت ظهر الثقافة الشعبية للمنطقة فيما يتعلق بموضوع تعاطي حشيشة الكيف. وقد خلدت الذكرى بأغنية ذاع صيتها كثيرا في تلك الحقبة لالة خدوجة الأطاوية (بوسفي، 2011) كان مطلعها: - نعطيك قصة بلادي مدا جانا /// واحنا في دا العام قلبنا تكوا- اداوهم علينا سكان معنا /// خلوا الصبيان ناسهم ييكوا.....

وفعلا كما وصفت الاغنية الجميع كان تحت الصدمة فمن الشباب من لم يخرج من بيتهن لثلاث ايام كاملة كما صرح به (م. ع. ج)، أما الامهات فسألت حالتهن النفسية كثيرا خوفاً على مستقبل أزواجهن والكثيرات منهن من حلفت يميناً ان لا تدخل البستان ان وجدت تلك النبتة اللعينة هناك، كما صرحت به (ص. ز) لزوجها علانية - والله ما نولى نقض للجنة ما حد ما نقت الجنان من ديك الهمة-.

اما شباب المنطقة الذي كان يعظم الحشيشة ومدمن عليها بشكل كبير فقد اصيب بالذهول لأول وهلة لكنه ادرك تمام الادراك ان الدولة عازمة على المضي في المسار الذي رسمته ولن تتراجع وعليه ان ينخرط في هذا المسعى طوعية او كراهية، فكانت مدة سجن الموقوفين التي تراوحت من سنة الى سنة ونصف كافية لتغيير كبير على مستوى الذهنيات بالمنطقة، وهذا ما تؤكدته تصريحات معظم المبحوثين خاصة وانهم ذاقوا فقد ابائهم لأول مرة في حياتهم وقد زاروهم في السجون كما صرح به كل من (ص. ع) و (ب. س) و (ب. م) و (ف. م) و (ك. م) و (م. م) حيث أن مشاهد اقربائهم في السجون كان له الاثر البالغ في نقوسهم وقد أوصى المسجونين ابنائهم بعد تواجد هذه الحشيشة للابد في المزارع والبساتين.

هذا التغير في الذهنيات رافقه تغير كبير في الثقافة الشعبية للمنطقة، فبعدها كانت ممجدة للتعاطي بشكل كبير احجمت في البداية عنها كخطوة اولى، وغابت مظاهر التعاطي والتناول في المناسبات بعد الصدمة خوفا من الامن، بل ووظفت التعاليم التي كانت تدعو للتوقف والحد والقضاء نهائيا على الاقبال على هاته الحشيشة زراعاً وتناولاً كما سيظهر ذلك مستقبلا في رقصات البارود وحلقات الطبل والدلالات المعرفية المتداولة لدى افراد هذا المجتمع، وهذا ما يظهر جليا في تصريحات الذين اقلعوا على تناول هاته الحشيشة حيث أفروا انهم بدأوا يشعرون

بالعزلة والعريّة من المقرّبين لهم، وبدأ ينفر الجميع من رائحتهم وترنّهم الذي كان في يوم من الايام مصدر اعتزاز وفخر لهم بين اقراهم الغير مدمنين، خاصة في المناسبات حيث كان يطلب منهم الابتعاد من وسط حلقات الطبل الى جانب منه، وهي رمزية كبيرة بعدم الاهتمام بهم والاكتراث لهم، كما جاء في تصريحات كل من (ب . أ) و(ص.ع) و(ف. م) و(ح . أ) - ولاو يخرجونا من وسط الطبل وقيسونا في الاخر-، أما دور الامهات فكان يراقب الصغار لكي لا يتناولون الدخان العادي بعدما كن يفرحن لذلك فيما مضى كما تؤكده (ص. م) التي اختطفّت سيجارة من فوق أذن أبنها الذي كان ييلع من العمر 22 سنة آنذاك و(ص.ح) التي دفنت سيجارة أبنها في التراب البالغ من العمر 19 سنة آنذاك.

تواصلت الرقابة الامنية من رجال الأمن والرقابة الذاتية من الأفراد أنفسهم ومن ذويهم مدعمة بالثقافة الشعبية التي وظفت في الخطابات الشفوية للفاعلين الاجتماعيين على مستوى الافراد والجماعات فاصبح يقال مثلاً- خنز القارو أكثر من خنز الجيفة - كما صرح به (م . ع) و(م. ف) و(ص. م) الى أن اصبحت هاته البلدة يعرف الضيف فيها من صاحب الدار لحمله سيجارة بغمه في تصريح لجل المبحوثين الذين أكدوا - اننا كنا نرى الرجل يمشي وسيجارة بغمه نجزم انه ضيف وليس من هاته البلاد وهذا مطله القرن الحالي على غرار تصريح (ب . أ) و (ص . أ) و(ص. ط). أو كما صرحت به احدى النسوة (م. ش) وهي تقول- اح اح يا وليدي والله ما ضقنا بنت العيل وبنت لبات الا من بعد ما تهنينا من داك الكيف ولينا بنادمين، وهذا ان دل على شيء انما يدل على التذمر الكبير الذي كان يعيشه هذا المجتمع جراء تعاطي حشيشة الكيف خاصة النساء اللواتي لم تكن تتعاطى تلك السموم لكن عباً المسؤولية الاسرية كله كان عليهن من خوفهن على مستقبل أبنائهن الذكور وعدم اكتراث أزواجهن بالتزاماتهم الاسرية.

خاتمة:

من خلال هاته الدراسة يتبين لنا الدور الاساسي الذي تلعبه الثقافة الشعبية في اعوجاج او تقويم السلوك الانساني تجاه مواضيع محددة كانت محل مساءلة مجتمعية عبثت برأس المال البشري والمادي للمجتمع، وكيف ان التوجيه السليم للضمير الجمعي المتمخض عن الثقافة

الثقافة الشعبية ودورها في صناعة الضمير الجمعي لمجتمع توات تجاه تعاطي المخدرات

الشعبية يجعل تغيير الممارسات الميدانية للأفراد ممكنا بطريقة سلسلة وباقل التكاليف وبفعالية عالية تفضي الى الرجوع للمسار الصحيح للإنتاجية المحتملة، باعتماد المسؤولين على فرص العمل التي تتيح للشباب الاستثمار فيما يفيد ابدانهم ومجتمعهم، والرقابة والردع من طرف الامن في حوض القيم والتقليد والاعراف التي تساعد على تقوية البنى التحتية للمجتمعات، وصيانة العنصر البشري من أن يكون معولا للهدم لا أداة للبناء.

ومن خلال هاته الدراسة يمكن ان نعطي صورة واضح للتأثير الكبير للثقافة الشعبية على افراد المجتمع وإمكانية توظيفها من طرف المسؤولين لتمرير مشاريع هامة تساعد في بناء الفرد والجماعات الاجتماعية للحصول على مجتمعه رصين محمي من جميع الآفات الاجتماعية التي يمكن أن تصبه، وعلية فإننا نوصي بما يلي:

- اجراء بحوث ميدانية حول الدور الذي يمكن ان تلعبه الثقافة الشعبية في تغيير السلوكيات الاجتماعية لدى الافراد والجماعات الاجتماعية.

-تحسين نظرة المسؤولين حيال الموروث الثقافي الشفوي للمساهمة في بناء المجتمعات وتوظيفه في مشاريع خلاقة للثروة بدلا من يكون صورة رمزية ومناسباتية للاحتفالات والأفراح.

-استغلال الجانب الاجتماعي الموسوم بالوحدة والتضامن للقضاء على معيقات تطور المجتمعات والقضاء على الآفات الاجتماعية عبر مخرجات الثقافة الاجتماعية.

-توعية كافة شرائح المجتمع بخطورة اجترار افكار من حقبة زمنية ماضية كانت تمجد الثقافة الشعبية فيها كل انواع الانحرافات داخل المجتمعات هروبا من الواقع المعاش آنذاك وعدم مواجهته.

قائمة المراجع والمصادر:

أ- الكتب

- 1- عبد المجيد لبصير. (15 فيفري، 2010). موسوعة علم الاجتماع. الجزائر، عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

ب- المقالات

- 2- يدر الدين يوسف. (جوان، 2011). مدينة ادرار وفق السياق الحضري الجديد نحو تنظيم المجال الجوي للأنثاليم الصحراوية الجنوبية الغربية للجزائر. المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية (52)، الصفحات 27-52.

ج- المواقع الالكترونية

- 3- الثقافة الشعبية". <https://ar.wikipedia.org/wiki> (15 ديسمبر، 2019). تاريخ الاسترداد 20 مارس، 2021، من مؤرشف من الأصل في 15 ديسمبر 2019. اطلع عليه بتاريخ 20 مارس 2021. <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 4- فادية المليح حلواني. (3 جوان، 2018). تاريخ الاسترداد 21 مارس، 2021، من ثقافة شعبية: [/https://ar.wikipedia.org/wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki)
- 5- مستشفى الامل. (6 جوان، 2020). اضرار الحشيش العضوية والنفسية- اضرار الحشيش على المخ. تاريخ الاسترداد 29 ابريل، 2021، من مستشفى الامل - كل ما كان امل توجد حياة: <https://www.youtube.com/watch?v=wi5VHKNoo0M>

الكتب الاجنبية:

- 6- Blin , L. (1990, MAI). L'Algérie du Sahara au Sahel, (B. YOUSFI , Trad.) Paris, ALgerine: L'Harmattan.
- 7- Boesen, E., & Marfaing, L. (2007). Les nouveaux urbains dans l'espace Sahara-Sahel, une cosmopolite par le bas. (B. YOUSFI , Trad.) Paris: Karthala.
- 8- Brachet, J. (2009). Migrations transsahariennes, vers un désert cosmopolite et morcelé (Niger), E. du croquant, Bellecombe-en-bauges. (B. YOUSFI , Trad.)
- 9- Jone, B. (2003). mythes et réalités d'un désert convoité. Consulté le Avril 15, 2021, sur <https://insaniyat.crasc.dz/index.php/fr/?option=com>.

الثقافة الشعبية ودورها في صناعة الضمير الجمعي لمجتمع توات تجاه تعاطي المخدرات

الملاحق:		ملحق رقم 01 : قائمة المبحوثين	
رمز اللقب والاسم	العمر	رمز اللقب والاسم	العمر
ف . م	62 سنة	م . ع	64 سنة
ص . ع	59 سنة	م . أ	62 سنة
ك . م	52 سنة	م . ع	71 سنة
م . م	63 سنة	ص . ب	75 سنة
م . ع . ج	53 سنة	م . ف	79 سنة
ص . م	55 سنة	ص . أ	69 سنة
ف . م	56 سنة	ص . ع	63 سنة
ح . أ	51 سنة	ص . ح	69 سنة
ب . م	66 سنة	م . ع	57 سنة
ب . ص	60 سنة	م . ش	81 سنة
ب . ع	58 سنة	م . ب	71 سنة
ص . م	58 سنة	ص . ط	77 سنة
ص . ع	49 سنة		

دليل المقابلة

ملحق رقم 02:

المحاور الكبرى للنقاش والمحاورة مع المبحوثين

- الجانب العقائدي الديني
- الجانب الاجتماعي
- الجانب الصحي
- الجانب المادي
- الجانب الثقافي
- العلاقات القرابية
- الجانب الأمني
- الجانب التصوري (مظاهر التعاطي والإدمان)